النهضة - الإصلاح - التجديد
محاولة تأسيس مفهومي من منظور سنني

التهامي مجوري

مقدمة

يخيل للبعض أن هذه المصطلحات مترادفة أو قل شبه مترادفة، ويلمس ذلك في إطلاقات الناشطين في العمل الاجتماعي والدعوي والسياسي والثقافي، لهذه الألفاظ على بعضها البعض، فيتكلمون عن الإصلاح ويقصدون النهضة، ويتكلمون عن التجديد ويقصدون الإصلاح، ويتكلمون عن النهضة ويقصدون الإصلاح أو التجديد وهكذا...

في حين أن مدلول كل مفردة من هذه المفردات، يختلف عن مدلولها في غيرها من الألفاظ، سواء في ذلك في المعنى اللغوي أو في الجانب المصطلحي؛ بل إن المنهجية السننية في علاقة الألفاظ بمضامينها تقتضي أن يكون لكل لفظ معنى ومهمة في واقع التركيبة السننية للوجود، لا سيما في مصطلحات من هذا النوع الذي له علاقة مباشرة بالفعل الحضاري والترتيبات الإصلاحية والتغييرية في واقع الناس.

تحاول هذه الورقة بحث هذه المفردات الثلاث والعلاقة بينها في إطار مفهومي من منظور سنني وفق المنهجية التالية:

- تعريف هذه المفردات
- علاقة هذه المفردات فيما بينها
- وظيفة هذه المفردات في عملية النهضة والبناء الحضاري عموما.

تعريف هذه المفردات

تعرض الورقة التعريفات لهذه المفردات، كمفردات منفصلة عن بعضها البعض، بحيث يفهم من كل مفردة المعنى الذي تحمله في نفسها من غير أي اعبار آخر وفق الترتيب التالي: النهضة، الإصلام والتجديد.

مفهوم النهضة

النهضة هي المفردة الكلية التي تنبني عليها جميع ما يقوم به الإنسان، من تعديل وتغيير للأوضاع التي هو عليها، في إطار عملية الاستخلاف والتكليف بالعمارة الملقاة على عاتقه: ابتلاء ومدافعة ومداولة وتجديدا. وعليها مدار كل عمل تغييري يقوم به الإنسان في هذه الحياة، ولذلك أطلقت على كل نشاط تنظيري وعمل تغييري جذري، فأطلق على ما حدث في أوروبا وأمريكا من تغييرات جذرية في جميع المجالات بعصر النهضة، وكذلك على المحاولات التي قال بها رجال الإصلاح ابتداء من القرن الثامن عشر بالنهضة العربية أو النهضة الإسلامية.

النهضة: من نهض ينهض نهوضا، وهو "البَرَاحُ مِنَ الْمَوْضِعِ والقيامُ عَنْهُ، نَهَضَ يَنْهَضُ نَهْضاً ونُهوضاً وانْتَهَضَ أَي قامَ، النُّهُوضَ قيامٌ غَيْرُ قُعُود، والنُّهُودُ نُهوضٌ عَلَى كُلِّ حَالٍ"[1].

ويطلق لفظ النهضة في لغة العرب على ثلاثة معاني متكاملة فيما بينها[2]:

المعنى الأول: شيء يكتسب ويتصف به، والمتمثل في الطاقة والقوة.

المعنى الثاني: فعل يجسد في الواقع، والمتمثل في الحركة من مكان إلى آخر أو من وضع إلى غيره، والارتفاع من الانحطاط والانبعاث والتجدد من التأخر والركود.

والمعنى الثالث: يتمثل في عملية التجاوز من الحال إلى غيره، مثل العتبة الغليظة التي يصعد فيها الإنسان أو الدابة من الأرض. بحيث يصبح معنى النهضة لغة هي الحركة بطاقة وقوة لتجاوز واقع غير مرضي عنه.

أما في الاصطلاح فلفظ النهضة من المصطلحات الجديدة التي وردت إلينا من النهضة الأوروبية والأمريكية، وتعني التغييرات الجذرية التي تحققت هناك، ورغم ما تحقق هناك من إيجابيات على مستوى الفكر والممارسة، فإن ما صاحب ذلك من مفاهيم وممارسات، لا تعبر عن المفهوم الحقيقي للنهضة ببعدها الإنسان، لما اتسمت به من مادية وتضييق على القيم غير المادية، ولذلك تجاوزنا المعنى الشائع المادي الضيق، إلى المعنى الأشمل والأعمق والمعبر عن المفهون السنني لمصطلح النهضة بوصفها "الحركة التنموية الشاملة المتوازنة، التي تتكامل فيها المصالح الدنيوية

1- لسان العرب مادة نهض

2- لسان العرب، معجم المعاني https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar ، مادة: نهض

مع المصالح الأخروية باستمرار"[3]، "لأن النهضة تركيب إبداعي متكامل، لا يقوم إلا على رشد الخبرة السابقة، ورشد الخبرة اللاحقة أو المعاصرة، وعبقرية التركيب المبدع المستجيب لحاجات وتطلعات الواقع المعيش"[4].

إن الطبيعة البشرية فطرت على استصحاب الخبرة التاريخية من جهة، والخبرة الرسالية من جهة أخرى. وذلك ما عرفت به جميع التجارب الناضجة في التاريخ الإنساني، وعلى رأسها تجارب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وآخرهم سيدنا مُحَمَّد ﷺ. وكل إخلال بجانب أو جوانب من هذين المجالين، لا يكون لحركة الإنسان في ذلك قيمة حضارية كاملة، ولا يعبر عن نهضة حقيقية، وإنما يعبر عن منتوج حضاري منقوص ونهضة عرجاء قاصرة.

النهضة والطبيعة البشرية

إن "النهضة الحضارية هي قدَر المجتمعات الإنسانية، ومحك المفاضلة فيما بينها، وشرط أمنها الفكري والثقافي والاجتماعي، وإشعاعها الحضاري، والقطب الذي تتحرك نحوه مسيرة المدافعة الثقافية والاجتماعية والحضارية البشرية باستمرار. كما انتبه إلى ذلك ابن خلدون من قبل واعتبر الحضارة غاية يجري نحوها العمران الحضاري"[5].

والنهضة من حيث هي، ليست كلها عمل إرادي محض، مثلما يتوهم من يحصر الحراك الإنساني في الجانب السياسي، وإنما فيها جانب يمثل الاستجابة الطبيعية لحاجات مكونات الإنسان الخلقية: العاطفة والعقل والروح والغريزة، والمكونات الوظيفية: الخواطر والمعرفة والحركة والعلاقات، التي تحتاج كلها إلى إشباع، وكل اختلال في العلاقة العضوية بين هذه المكونات، والتوازن والتكامل والاطراد بينها، يعود على عملية النهضة بالسلب والانفراط، سواء في ذلك ردود الأفعال العفوية والمدروسة دراسة خاطئة.

وقد اختلفت المدارس الفكرية في تحليل هذه الحركية وكيفية حدوث النهضة، فاعتبرتها المدرسة الماركسية الاستجابة للحاجة، وذلك بتحريك وسائل الأنتاج وتوفير وسائله، أما

3- سؤال النهضة

4- وجهة العالم الإسلامي/70 سؤال النهضة

5- سؤال النهضة

ارنولد تونبي فربطها بالتحدي، الذي قد يكون في صورة تهديد، في شكل غزو أجنبي أو كوارث طبيعية أو غير ذلك من المهددات، فتكون الاستجابة بمثابة رد الفعل على التهديد، عبر مقاومة الواقع بالحفاظ على الوجود وتحسين مستوى الأداء، بينما مالك بن نبي فلم يكتفي بهذين التعليلين، وهما من المحركات حقيقة، وإنما أضاف إليهما أمرا آخر وهو الأهم وهو الشعور بالخطر الأخروي[6]، الذي يقرره الإيمان بالله واليوم الآخر، حيث أن الحضارة كما يقول مالك بن نبي "تولد مرتين، أما الأولى: فميلاد الفكرة الدينية، وأما الثانية: فهي تسجيل هذه الفكرة في الأنفس. أي دخولها في أحداث التاريخ؛ بل إن الحضارة نفسها لا تظهر إلا في صورة وحي ينزل من السماء"[7].

وعندما يتقرر أن النهضة هي قدر الإنسانية، وهي ملزمة بامتطاء جوادها، فإنها هي السبيل الأمثل للحفاظ على حركة الإنسان وعلى طبيعته البشرية، وباعتبارها "تلبية لضروريات وحاجيات وتحسينيات حياتها من ناحية، ومواجهة مضاعفات التحديات التي تفرضها عليها حركة المدافعة والمداولة الحضارية بشكل مستمر من ناحية أخرى، والمحافظة على أمنها ووجودها وفعاليتها الحضارية في الساحة العالمية من ناحية ثالثة، فإن كل هذه المجتمعات الإنسانية تسعى جاهدة من أجل تحقيق نهضتها الحضارية"[8]، وكل تخلي عنها ينزل بالإنسانية إلى حضيض الجهل والضنكية والتشرذم والحاجة والفاقة (أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) [الفرقان 44].

مفهوم الإصلاح

وبعد تعرفنا على النهضة من حيث هي قانون علاقة الإنسان بالوجود، وقدر الإنسانية كلها، وأنها لن تكون إلا وفق ما يقتضيه تفاعل الإنسان مع الطبيعة والوجود؛ لأن الإنسان لم يخلق عبثا، وإنما خلق ليكلف وليبتلى ويختبر (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا

6- جودت سعيد، الإنسان حين يكون كلا وحين يكون عدلا، ص 40-41، مالك بن نبي شروط النهضة 51، 55، 65،

7- مالك بن نبي شروط النهضة 55

8- سؤال النهضة

جَهُولًا) [الأحزاب 72]، (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [النبياء 35]. وهنا تظهر فكرة الإصلاح وموقعها في حركة النهضة، ذلك أن النهضة كمبدإ عام، يحتاج إلى طرق وأساليب لتجسيدها في الواقع، وذلك هو مهمة الإصلاح، فما هو مفهوم الإصلاح؟

الإصلاح لغة

من صلح ويصلح صلاحا وصلوحا. والصلاح في لغة العرب[9]: ضد الفساد، صلح أمره: ناسبه ولاءمه ووافقه. صلح الشيء: كان نافعا. والإصلاح نقيض الإفساد، وهو يدل على إزالة الفساد. أصلح الشيء: أزال فسادَه، أَعَادَه إِلَى حَالَتِه الأُولَى وَأَزَالَ عَنْه الْعَطَبَ، والإصلاح بين الناس إزالة ما بينهم من خصومات وخلافات...إلخ، والمعنى المشترك لكلمة إصلاح في الأمور كلها هو إزالة ما له تأثير سلبي على الأشياء والأفكار والأشخاص.

و"الصَّلَاحُ: ضدّ الفساد، وهما مختصّان في أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل في القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسّيّئة"[10].

الإصلاح اصطلاحا

أطلق مصطح الإصلاح في عملية الاهتمام بالشأن العام على جملة من المعاني مارسها الناس في الواقع، فمنهم من أطلقها على أنها فعل ترقيعي، كما فعل الناشطون السياسيون في محاولاتهم النضالية في إطار الوجود الاستعماري، وهو الحال مع الفئات المتخرجة من الجامعات الغربية المتأثرة بحركات الاصلاح الديني في الغرب، وهي الدعوة إلى تقليد الغرب المتقدم في حركاته الإصلاحية، ومنهم من أطلقها على الحركات التي إلى تدعو تنقية الدين من الخرافات مثلما هو الحال في الحركات السلفية، ومنهم أطلقها على التيارات التي لم تعتبر النضال السياسي فعلا إصلاحيا؛ لكون الجانب السياسي نتيجة لنشاط سابق وليس مقدمة له.

9- لسان العرب، معجم المعاني https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar ، مادة: نهض

10- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن مادة صلح ص 489

وقبل البحث في التعريف الاصطلاحي لهذا المصطلح، رأيت من المناسب عرض لفظ الإصلاح والصلح في القرآن الكريم.

مادة صلح في القرآن

وقد وردت مادة "صلح" في القرآن الكريم بعدة صيغ:

1. **بصيغة الوصف لأفعال الناس:** كما في قوله تعالى: (وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) [التوبة: 102]، وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) [البقرة: 82]، وهنا اللفظ حيادي، لا يعني المدح أو الذم أو الإيجاب والسلب، ولكن أفاد أن لفظ صالحا يقابلها سيئا من جهة ومن جهة أخرى مصاحبة للإيمان.
2. **بصيغة المحافظة على الطبيعة والفطرة:** (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ) [الأعراف: 56]؛ لأن ذلك مخالف لمبدإ الاستخلاف (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ) [البقرة 30]، وهنا أعطى للفظ معنى الفطرة لأن ما في الأرض الأصل فيه الصلاح والإصلاح تلك هي فطرة الله التي فطر عليها الوجود (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ) [الروم 30] و"الفطرة هي النظام الذي أوجده الله في كل مخلوق"[11]، كما وضع له ما يقابله وهو الإفساد: و"لا تفسدوا في الأرض...".
3. **بصيغة الترغيب في الصلح:** (وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ) [النساء: 128]، وقوله (وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا) [النساء: 129]، وقوله (وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

[11]- محمد اتلطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 88/21

تُرْحَمُونَ) [الحجرات 9-10]، وهنا انحصر معنى اللفظ في حالات النزاع، ورغب في الصلح والإصلاح، باعتباره الأولى والأفضل. ومن صوره الدعاء به كما جاء في قوله تعالى (حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [الأحقاف: 15].

4. **بصيغة ما يقبل الله ويفعل:** كما في قوله تعالى (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [البقرة: 160]؛ (إليه يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) [فاطر:10]، وقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ) [مُحَمَّد: 2]، وقوله (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: 71]. هنا جاءت تزكية الصلاح والإصلاح؛ بل هو فعل الله أيضا، فالله يفعل الإصلاح، ويقبله من خلقه، وما يقبله الله هو المطلوب بطبيعة الحال.

ومجموع هذه الصور الواردة في القرآن الكريم حول مفهوم الإصلاح، هي الصورة المثلى لمعنى الإصلاح، الذي يحافظ على القيم الفطرية التي فطر الله عليها الوجود، والذي أحبه الله ودعا إليه عباده ورغبهم فيه وفي صوره المختلفة، مفاضلة واختيارا واصطفاء والتزاما، وذلك ما بعث به الله أنبياءه ورسله كما جاء على لسان شعيب عليه السلام: (قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ) [هود 88]، فقد ظن قوم صالح أن صالح جاءهم بما يخالفهم به فقط، واستبعدوا "أن يكون له قصد صالح فيما دعاهم إليه، فكان مقتضى إبطال ظنتهم أن ينفي أن يريد مجرد مخالفتهم. فمعنى قوله: "وما أريد أن أخالفكم" أنه ما يريد مجرد المخالفة كشأن المنتقدين المتقعرين ولكن يخالفهم لمقصد سام وهو إرادة إصلاحهم..."[12]، وما يستنتج من تلك

[12]- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير،

المعاني القرآنية أن لفظ صلح وروده بأشمل المعاني في الارتقاء بالإنسان إلى حيث مكانته الرسالية. ذلك أن "كل عمل صالح وسعي حسن، فإن حصوله يتوقف على التوفيق بين شيئين: أحدهما كسب العامل وطلبه الشيء من طريقه، وثانيهما موافقة الأسباب الكونية والخارجية التي يتوقف عليها النجاح في كسبه وسعيه، وتسخيرها إنما يكون من الله وحده. والمعنى: وما توفيقي... لإصابة ذلك فيما أستطيعه منه إلا بحول الله وقوته، وفضله ومعونته، وأعلاها ما خصني به دونكم من نبوته ورسالته"[13].

ورغم أنه لا يوجد تعريف مجمع عليه للإصلاح، فلكونه نشاط من أجل استقامة الحال ، وإزالة للخلل والفساد الطارئ على الشيء، وتوفيق بين الناس وإزالة ما كان بينهم من عداوة وشقاق"[14]، ولأنه مفهوم يتشابك مع أطراف الوجود كلها، يمكن تعريفه بما يلي: هو النشاط الذي يرتقي بالإنسان إلى مستوى الرسالية المطلوب، فردا ومجتمعا وأمة وحضارة.

تعريف التجديد:

التجديد لغة:

ولفظ "تجديد: اسم ومصدره فعل جدَّدَ، من جدد الشيء إذا صيَّره جديدا، وجدد نشاطه أي أعاد له القوة والحيوية، وجدد البيت إذا أصلحه ورممه، وكذلك في كل أمر يوصف بالتجديد –أي جدد- وذلك بإضافة ما ينقصه إليه، ويعيد له صفته اللائقة به فيقال عنه جديد، والعملية التي أقيمت توصف بالتجديد، وهو الإتيان بغير المألوف في حياة الناس.

ذلك أن الفعل جدّد ليس خاصا بشيء محدد يوصف به، ولا يوصف به غيره، وإنما يطلق على الكثير من المعاني المعبرة عن الإيجابية والفاعلية والاستقامة والوصال بين الأشياء، فتجديد كل شيء يقتضي أن يكون المضاف إليه موصوفا بالكمال والإيجابية، وإلا لا تعد الإضافة تجديدا. فجَدَّ جَدُّه كأَنه صَارَ جَدِيدًا. والجِدَّةُ: مَصْدَرُ الجَدِيدِ، والجَدُّ: الْحَظُّ وَالرِّزْقُ؛ يُقَالُ: فُلَانٌ ذُو جَدٍّ فِي كَذَا أَي ذُو حَظٍّ؛ وَرَجُلٌ جُدّ، أَي مَجْدُودٌ عَظِيمُ الجَدّ؛ وإِن كَانَ مِنْ جَدِيدٍ وَهُوَ حِينَئِذٍ فِي مَعْنَى مَفْعُولٍ، رَجُلٌ جَدِيدٌ إِذا كَانَ ذَا حَظٍّ مِنَ

---

[13]- رشيد رضا، تفسير المنار، 120/12

14- الدرر السنية https://dorar.net/alakhlaq/118

الرِّزْقِ، وَرَجُلٌ مَجدودٌ مِثْلُهُ. فأَنت جَديد حَظِيظٌ وَمَجْدُودٌ مَحْظُوظٌ. والجَدُّ: العَظَمَةُ. وجادَّةُ الطَّرِيقِ سُمِّيَتْ جادَّةً لأَنها خُطَّة مُسْتَقِيمَةٌ، الجَدَدُ مَا اسْتَوَى مِنَ الأَرض، وأَجدَّ القومُ إِذا صَارُوا إِلى الجَدَدِ. الجَوادُّ: الطُّرُقُ، وَاحِدُهَا جادَّة وهِيَ الطَّرِيقُ الأَعظم الَّذِي يَجْمَعُ الطُّرُقَ وَلَا بُدَّ مِنَ الْمُرُورِ عَلَيْهِ. وجادَّة الطَّرِيقِ: مَسْلَكُهُ وَمَا وَضَحَ مِنْهُ، وجَدَّ بِهِ الأَمرُ وأَجَدَّ إِذا اجْتَهَدَ. يُقَالُ أَجَدَّ الرَّجُلُ فِي أَمره يُجِدُّ إِذا بَلَغَ فِيهِ جِدَّه، يُقَالُ: فُلَانٌ جادٌّ مُجِدٌّ أَي مُجْتَهِدٌ"[15].

فالتجديد في لغة العرب إذن، يطلق على التغيير الذي يجلب الإضافة والمنفعة والإيجابية والجدية والاستقامة، ولذلك كان من معاني التجديد مقابل القديم والبالي والمُتَجاوز من القيم والأعراف والتقاليد، و"تجديد الدين هو إحياؤه وبعث معالمه والعلمية والعملية، التي أبانتها نصوص الكتاب والسنة وفهم السلف"[16]، ومن ثم فتجديد كل شيء، هو إحياؤه وبعص معالمه العلمية والعملية.

كان ولا يزال مصطلح التجديد في الفكر الإنساني هاجسا في جميع المدارس الفكرية، باعتباره الاستجابة لقانون الحاجة الحضارية، ولكنهم يختلفون في مضامينه التي تحققه في الواقع.

فمنهم من يرى التجديد لا يتحقق إلا بالاستغناء عن القديم مطلقا، انطلاقا من الانتخاب الطبيعي، كما هو معروف في مذهب الحداثيين عموما!! ومنهم من لا يرى التجديد إلا فيما ظهر فساده وبطلت منافعه!! ومنهم من انشغل بالفئة التي تقوم بالتجديد وإحصاؤها في التاريخ نزولا عند تبشير النبي ﷺ بذلك في وقله "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كلِّ مائةٍ سنةٍ من يُجَدِّد لها دينَها"[17].

وعلى كل جانب من هذه الجوانب تحفظ أو تحفظات في مستوى معين؛ لأن التجديد كفكرة مقابلة للقديم، لا يعني أنها تحل محل القديم بالمطلق، وإلا ما معنى التراكم المعرفي

15- لسان العرب وhttps://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar مادة جدد

16- بسطامي مُحَمَّد سعيد، مفهوم تجديد الدين، ص 28، ط 2 مركز التأصيل للدرايات والبحوث سنة 2012

17- رواه أبو داود عن أبي هريرة ابن الاثير جامع الأصول رقم 8881

والخبرات في التاريخ؟ إلا بقاء بعض القديم الذي يبنى عليه الجديد، ولو كان الجديد أو التجديد يقتضي إزالة القديم، لكان النشاط الإنساني استئنافيا لا قديم فيه، والتجربة الإنسانية عامة أثبتت أن هناك أمور قديمة وجدت منذ بداية الخليقة ولا توال إلى اليوم هي هي، وهناك أمور جديدة تموت في مهدها. وكذلك لا يعني التجديد فساد الشيء حتى نضطر لتجديده، وإنما قد يوجد الأولى والأنفع، فيستبدل الخير بما هو أخير منه والفضل بما هو أفصل منه.

ثم هل التجديد هو الذي يبحث عن أهله الذين يقومون به؟ أم أن المجدد موجود دائما ولكنه يبحث له عن الأوعية التي تمكنه بالقيام بذلك، ومعنى ذلك أن المستويات النفسية والاجتماعية للمجتمعات، هي التي تشعر بالحاجة إلى التجديد فتعمل على إيجاد الأطر والمؤسسات التي تجسد عملية التجديد في الواقع بما يقتضيه الحال.

التجديد في ظل القدر الإلهي

لقد اقتضت حكمة الله أن يكون التجديد ظاهرة ملازمة للوجود؛ لأن ما في الوجود من الأمور المتعلقة بالحياة أفكارا وأشخاصا وأشياء، لها أعمار محدودة تنتهي صلاحيتها بانتهاها، ومن ثم قد تنتهي صلاحية بعض الأمور بسبب عدم فعاليتها أو بضعف مردودها، وهذه النهايات قد تكون بسبب الفناء للشيء أو الشخص أو الفكرة، أو بسبب تقصير الإنسان فيما كلف به، فتنتفي الفاعلية، والله لم يخلق الحياة للتوقف لهذا السبب أو ذاك، ولذلك قرر أن يكون التجديد هو الوسيلة الفاعلة لتجاوز مثل هذه الاختلالات، فقرر سبحانه وتعالى إبراز فعله التجديدي سبحانه في قوله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) [المائدة 54]، فإذا قصر المقصرون لم يترك الأمر هكذا، وإنما قرر تجديد الحياة بالإتيان بغيرهم من غير المقصرين، ثم لا يكونون مثل المقصرين.

(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) [الروم 27]، (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ) [البروج 13] "فقال بعضهم: معنى ذلك: إن الله أبدى خلقه، فهو يبتدئ، بمعنى: يحدث خلقه ابتداء، ثم يميتهم، ثم يعيدهم أحياء بعد مماتهم، كهيئتهم قبل مماتهم"[18]، (الْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [النحل 8]، (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [العنكبوت 20]، (يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَا ۚ إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) [النبياء 104]، في جميع هذه الصور للخلق والإعادة والإضافة والنظر، معاني لصور التجديد التي تقضيها تحولات وتغيرات تقع في الوجود.

ثم إن النبوة عبر التاريخ تدخل في هذا المعنى من معاني التجديد في ظل القدر الإلهي، حيث أننا لسنا نحن الذين نختار النبي ولا نقدر زمان ظهوره ولا لماذا كان...؛ بل إن سلسلة الأنبياء كلها عندما نراجع تاريخ الحركة النبوية، نجدها صورا للتجديد وفق معطيات حركة التاريخ من سيدنا آدم إلى مُحَمَّد صلى عليهم الصلاة والسلام؛ بل إن ختم النبوة الذي كان بمحمد ﷺ، الصورة الأخيرة للنبوة التي ليس بعدها نبي، وإنما انتقلت الرسالة إلى الجهد الإنساني في ظل الوحي الذي كان ينزل على الأنبياء، فتحول إلى كائن ثابت ومستقل يهتدي به الإنسان في طريقه في الحياة.

التجديد بعد ختم النبوة

وكما كان التجديد في القدر الإلهي ضرورة لاستمرار الرسالية في الحياة، فإنه سيبقى ضرورة مستمرة ومطردة كظاهرة كونية، بعد ختم النبوة وانتقال الرسالية إلى الإنسان فردا ومجتمعا وأمة وإنسانية، مع حفظ الرسالة التي سوف تكون لأول مرة في الوجود بلا رسول أو نبي (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر 9]، ليتسلم القيادة العلماء ورثة الأنبياء والمجددون عبر التاريخ، ولذلك قال النبي ﷺ "إنَّ اللهَ يبعثُ لهذه الأمةِ على

18- تفسير الطبري

رأسِ كلِّ مائةِ سنةٍ من يُجدِّدُ لها دينَها"[19]، بعد أن أعلمنا أن مرحلة النبوة بصيغتها التاريخية قد تجاوزها التاريخ؛ لأن مستوى الإنسانية قد بلغ من الرشد، ما يغنيه عن وجود النبي بين الناس أفراد وجماعات، اكتفاء بالكتاب المحفوظ؛ ولأن البنيان النبوي قد اكتمل "إن مَثَلي وَمَثَلَ الأنبياءِ من قبلي، كمثل رجل بنى بُنْياناً فَأَحْسَنَه وأَجْمَلَه، إلا موضعَ لَبِنَة من زاوية من زواياه، فجعل الناسُ يطوفون به، ويَعْجَبون له، ويقولون: هلا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَةُ؟ قال: فأنا اللَّبِنَةُ وأنا خَاتَم النَّبيّين"[20]، واكتمال الدين أيضا على يديه صلى الله عليه وسلم كما جاء في قوله تعالى (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ) [المائدة 3]، فيتحرك الإنسان في ظل هذا الواقع الجديد –ما بعد ختم النبوة- بقيم جديدة في خط سير الاستخلاف، وفق النظام السنني الذي أوجده الله ليحكم الحياة وعلاقتها بالآخرة، من أجل سعادة الإنسان فيهما.

والعالم والمجدد الذي سيكون وريثا للنبوة، لن يكون نبيا مهما كانت منزلته العملية القيادية، وإنما سيكون وارثا للمنهج النبوي إذ أن "الفارق الأساسي الذي بين المجدد والنبي، هو أن النبي يكون مأمورا من عند الله بأمر تشريعي، ويكون عارفا بكونه مامورا من الله، فيأتيه الوحي، ويبتدئ بعمله بدعوى النبوة ويدعو الناس إلى نفسه، وعلى قبول دعواه أو رفضها يتوفق الإيمان والكفر، والمجدد بخلاف ذلك لا يكون في شيء من تلك المنزلة فلا يكون مأمورا من الله، وإن فرض أنه يكون فبأمر لا تشريعي، وكثيرا ما لا يكون هو نفسه عالما بكونه مجددا، بل يعلم الناس بمكانه ذلك بعد موته عندما يستعرضون مآثره"[21].

فـ"المجدد لا يكون نبيا، ما في ذلك شك، ولكنه يكون في طبعه ومزاجه أقرب إلى مزاج النبوة، ومن الخصائص التي لا بد أن يتصف بها المجدد هي: الذهن الصافي والبصر النفاذ والفكر المستقيم بلا عوج والقدرة النادرة على تبين سبيل القصد بين الإفراط والتفريط ومراعاة الاعتدال بينهما والقوة على التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة والعصبات

19- سنن أبي داود برقم/4291

20- رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ابن الأثير جامه الأصول 6340

21- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه، ص 53 ط 2 دار الفكر الحديث لبنان سنة 1967

القديمة الراسخة في طول القرون والشجاعة والجرأة على مزاحمة سير الزمان المنحرف والأهلية الوهوبة للقيادة والزعامة والكفاءة الفذة للاجتهاد ولإعمال البناء والإنشاء"[22].

لقد نص حديث التجديد عن تجديد الدين، مما يوهم بقصوره على الجانب الديني التعبدي، والحقيقة ليس كذلك؛ لأن تجديد الدين من معانيه الشملة هو التجديد في كل شيء؛ لأن النبوة أيضا كانت شاملة لقضايا الإنسان كلها دنيا وآخرى، ثم إن التجديد وإن كان ليس في مستوى النبوة، فيشمل التغيير والتوجهات العامة بحيث يطال التغيير ما يحيط بنصوص الوحي، إلا أنه يشمل كل ما يتنافى ومقررات الوحي ومقاصده الكبرى، بناء على التشخيص الدقيق للواقع والاستجابة لمتطلباته بدقة أيضا، بحيث تكون عملية التغيير كما يقول المودودي تجدُّدا وارتقاء إلى مستوى الوحي ومقاصده؛ لأن النزول عن مقررات الوحي يحصل بالتحلل من الوحي والمعاصي والبدع والخرافات، والتخلص من ذلك التحلل هو التجديد، كما يشمل أيضا عملية التحيين والتصحيح للأفكار القديمة حول قضايا الوجود المتغيرة.

ظهور المهدي وموقعه من التجديد

لقد وردت آثار كثيرة، في ظهور المهدي في آخر الزمان، كما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "لَو لَم يَبقَ مِنَ الدَّهرِ إلَّا يَومٌ، لبَعثَ اللهُ رَجُلًا من أهلِ بيتي يَملَؤُها عَدْلًا كما مُلِئَت جَورًا"[23]، فيها الصحيح والضعيف والحسن، ولكن من الناحية المنهجية، يبدو وكأن هذا الظهور لا يستقيم مع مبدإ ختم النبوة ومبدإ التجديد، فإذا كان الله قد ختم النبوة بمحمد ﷺ، وبشرنا بظهور مجدد على رأس كل مائة سنة، فما حاجة الأمة إلى ظهور المهدي؟ ويزداد الإنسان ريبة عندما يربط هذا الموضوع بالكثير من الخرافات التي ربطها به الشيعة، وذلك بتحديد مكان خروجه الذي يختبئ فيه وهو حي يرزق، وبوجود هذه الفكرة في جميع الديانات المرعوفة بفكرة المخلص.

22- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه، ص 52 ط 2 دار الفكر الحديث لبنان سنة 1967

23- رواه أبو داود، عن علي رضي الله عنه، ابن الأثير، جامع الأصول، رقم 7834

ومع ذلك لا يمكن رد ما صح عن الرسول ﷺ، وإنما يمكن إلحاقه بالبشارات الأخرى التي وردت فيها نصوص أيضا، مثل نزول المسيح، وعودة الخلافة على منهاج النبوة، والمجدد القرني، والفرقة الناجية، وغير ذلك من أحاديث الاستشراف، بوصف أن كل ذلك من مقتضيات حركية المجتمعات ورساليتها، من حيث أن حركة التاريخ لا تستسلم للفساد، كلما ظهر الفساد واستشرى، ظهر الإصلاح كاستجابة لاستغاثة الوجود؛ بل إن استشراء الفساد واستفحاله، مع عجز البشرية عن التغلب عليه؛ بل إنني أزعم أن الله لا يترك الوجود لعبث العابثير، إنما يتدخل بطريقة ما انصارا للحق وللمستضعفين (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم 41] .

أما فيما يتعلق بموضوع التجديد والمجددين، فإن المهدي لن يكون في صورة مختلفة عن المجدد؛ لأنه لن يكون نبيا، وكما قال العلامة الموةدةدي رحمه الله "فالذي أقدره وأتصوره أن المهدي المنتظر سيكون زعيما من الطراز الأحدث في زمانه بصيرا بالعلوم الجديدة بصر المجتهد المطلع، ويكون جيد الفهم لمسائل الحياة، ويبرهن للعالمين رجاحة عقله وفكره وبراعة تفكيره السياسي، وكمال حذقه لفنون الحرب، ويبذ –يغالب- كل أبناء زمانه الجدد في تقدمه وارتقائه. وإني لأخشى أن حضرات المشايخ ورجال الدين الذين هم يكونون أول من يرفع النكير على رجحانه إلى الوسائل العصرية وعلى طرقه المحدثة للإصلاح ثم لا أراه مختلفا في بنيته وهيئته عن عامة البشر بحيث يعرفه الناس بعلاماته الخاصة وسماته المعلومة كما لا أتوقع أنه يعلن بكونه الإمام المهدي بل لا أستبعد له أن لا يكون هو نفسه عالما بكونه المهدي الموعود...، والذي أتصور من نوعية عمل الإمام المهدي يختلف كل الاختلاف عما يتصوره الناس وذلك أني لا أرى في عمله مجالا بالكرامات والخوارق والكشف والإلهام وإعمال الرياضة الروحية ومجاهدة النفس، وأعتقد أن المهدي لن تكون

له مندوحة عن أن يجتاز من مراحل الجهد والكفاح والسعي الشديد ما يضطر إلى اجتيازه كل زعيم انقلابي..."[24]

البعد الرسالي للتجديد

الرسالية من حيث المبدأ هي نهضة الفرد، كما كانت النهضة رسالية المجتمع والأمة، فعند الفرد نسمي النهضة رسالية، وعند المجتمع والأمة نسمي الرسالية نهضة، والنهضة كما أسلفنا هي تجسيد عملية الاستخلاف في الواقع، إنشاء وإبداعا وتصويبا وتخلية وتحلية وتصفية وتربية، ويكون ذلك بواسطة الإصلاح، ولكن قد تفقد بعض الأساليب والأفكار والقيم صلاحيتها، فهنا يكون التجديد هو المدخل الصحيح لتقويم الواقع، وليس بالقطيعة أو الإزالة والاستغنان عن بعض فروع الحياة، ولذلك كان لا بد من وجود علماء ومصلحين ومجتهدين للقيام بذلك الواجب.

لقد "كان ولا يزال الدين الاسلامي في كل عصر في حاجة إلى رجال أقوياء يأتون ويسددون خطى الزمان ويوجهون مسيره إلى الاسلام، سواء أكان عملهم في ذلك محيطا شاملا أو كان على بعض نواحي الأمر مقتصرا، وهؤلاء هم الذين يدعون بالمجددين"[25].

"ومن أجل المحافظة على ديمومة العلاقة الصحيحة القوية ببؤرة وجذر الدائرة السننية المركزية الأم للمنظور الكوني المرجعي السنني المؤطر للحياة البشرية، والواقي لها من الارتباك والتيه والتنافرية واختلال التوازن وانعدام الوزن الإنساني، جاءت ضرورة العناية بالدورات التجديدية الكبرى، كآلية سننية مركزية حاسمة لإرجاع الأمور إلى نصابها، ووصل كل المنظورات المرجعية الجزئية بجذرها المركزي وهو منظور السننية الشاملة، وتخليص كل منها من مفرزات الاستجابات العرفية الزمنية التي لم تعد مجدية، أو ثبت خطؤها، واستحداث استجابات عرفية جديدة، أكثر انسجاما وتناغما مع

24- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه، ص 61 – 62 ط 2 دار الفكر الحديث لبنان سنة 1967

25- أبو الأعلى المودودي، موجز تاريخ تجديد الدين وإحياؤه، ص 50 ط 2 دار الفكر الحديث لبنان سنة 1967

معطيات الدائرة المركزية الأم في منظور السننية الشاملة، وهذا ما يؤكد عليه حديث التجديد وهو حديث يندرج في سياق القانون المحوري للتغيير والإصلاح الحضاري المتضمن في قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ)[الرعد : 11]"[26].

مصدرية التجديد هذه تستمد قوتها، من مبدإ التجديد في ظل القدر الإلهي الذي أشرنا إليه آنفا، ومن الطبيعة الرسالية للأمة (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [آل عمران 104]، ونموذجية الصدر الأول "خَيْرُ الناس قَرْني، ثم الذين يَلُونَهم، ثم الذين يَلُونَهم، قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قَرْنِه: قرنين أو ثلاثة؟ - ثم إنَّ بعدَهم قوماً يَشْهدون ولا يُسْتَشْهدون، ويَخُونون ولا يُؤتَمنون، ويَنْذِرون ولا يُوفُون، ويَظهر فيهم السِّمَنُزاد في رواية «ويحلفون ولا يُستَحلَفون"[27]، وأخيرا النصوص الداعية إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتغييره، وبشارة النبي أن هذه الأمة لا تخلو من أمر بالمعروف وناه عن المنكر مهما كانت الظروف "لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم مَن خَذَلهم حتى يأتيَ أمْرُ الله وهم كذلك"[28]

علاقة هذه المفردات فيما بينها

إن النهضة هي الإطار الكلي للحركة الاجتماعية بجميع أبعادها، بحكم الاستخلاف في ظل قانون الابتلاء والتدافع والتداول والتجديد، ثم إن تنزيل هذا الإطار الكلي بتفاصيله، لن يكون إلا بواسطة العمليات التغييرية التي سميناها الإصلاح والتجديد. فالإصلاح يشمل تصحيح النقائص وتعديلها، والتجديد خاص باستبدال ما انتهت صلاحيته من الأفكار

26- سؤال النهضة

27- رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن عمران بن حصين ابن الأثير جامع الأصول رقم 6355

28- رواه مسلم والترمذي وابو داود عن ثوبان، ابن الثير، جامع الأصول رقم 6776

والقيم والأقوال والأعمال، وكل ذلك يكون في دائرة المتغيرات البشرية التي دون القواعد الكلية واليقينية.

"فالنهضة الحضارية لأي مجتمع إنساني، مرتبطة بمدى تمكنه من تحقيق الصلاح والصلاحية في عالم أفكاره، وعالم أشخاصه، وعالم أشيائه، التي تتيح له الاستثمار الفعال والمتكامل للإنسان والتراب والزمن وشبكة علاقاته الاجتماعية، لتحقيق نهضته الحضارية المطلوبة"[29].

ومن ثم فإن كل إصلاح أو تجديد لن يكون إلا في ظل حركة نهضوية؛ لأن النهضة تمثل التصور الكلي ولتفاصيل قضايا الإنسان حاجاته الدنيوية والأخروية.

منظور السننية الشاملة وهذا الإطار المفهومي

عندما ننطلق من أن منظور السننية الشاملة، منظومة فكرية تعبر عن "الرؤية الكونية الكلية المؤسَّسة على أن الوجودين الكوني والبشري معا، تحكمهما سنن منتظمَة مطردة، لا تخرج عن سلطانها أية مفردة كونية صغيرة كانت أم كبيرة، مادية كانت أم روحية، نفسية كانت أم سلوكية، اجتماعية كانت أم حضارية، فكل شيء موجود في هذا الكون، خلقه الله تعالى بقدر موزون، وأودع فيه نظاما ذاتيا ثابتا يحدد هويته ووظيفته، ويمكِّنه من أداء هذه الوظيفة التسخيرية بالكفاءة والفعالية المطلوبة، والمحافظة على هذه الهوية الذاتية المتميزة بشكل مطرد"[30].

فمن الناحية النظرية هكذا هي التركيبة الكونية بشقيها الكوني والبشري، أما من الناحية العملية التطبيقية، فإن حركة النهضة هي التي على عاتقها مراقبة الواقع ودراسته ومدى تطابقه مع هذا المنظور، بحيث تظهر النقائص والاضطرابات المخلة بالقانون التي تتسبب في الاختلالات وعدم الاستقرار، فيتعين على آلة الإصلاح والتجديد في العمل على إعادة الأمور إلى نصابها، وفق مقررات ومعطيات النهضة الحضارية، ووفق المتطلبات التي تقتلع الخطأ والخلل من موقعه مهما كان وموقعه ومستوى تأثيره في معتنقيه.

29- دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين/62 سؤال النهضة

30- الطيب برغوث، سؤال النهضة والحجة إلى منظور السننية الشاملة، ط ، سنة ، ص

وإذا انطلقنا من أن مدار مفهوم النهضة في اللغة على ثلاثة معاني متداخلة فيما بينها، وهي:
المعنى الأول: شيء يكتسب ويتصف به، والمتمثل في الطاقة والقوة [القدرة]
المعنى الثاني: فعل يجسد في الواقع، والمتمثل في الحركة من مكان إلى آخر أو من وضع إلى غيره، والارتفاع من الانحطاط والانبعاث والتجدد من التأخر والركود [الحركة]
والمعنى الثالث: يتمثل في عملية التجاوز من الحال إلى غيره، مثل العتبة الغليظة التي يصعد فيها الإنسان أو الدابة من الأرض. بحيث يصبح معنى النهضة لغة هي الحركة بطاقة وقوة لتجاوز واقع غير مرضي عنه. [الإرادة].
فإن هذه المعاني الثلاث تتحول في الجانب العملي التنفيذي التطبيقي إلى تفاعل بين مصلحات: [القدرة والحركة والإرادة]. فـ"القدرة" التي هي عين الطاقة والقوة التي تكستب بفضل "الحركة" والانتقال من الركود إلى الفعل المضادة للركود والانحطاط، أما "الإرادة" فهي الخيار المعبر عن الصعود والتجاوز، ومجموع ذلك يتم في إطار عملية تفاعلية ووفق أنشطة سننية تقتضيها منهجية العلاقة العضوية بين هذه المصطلحات الثلاة: النهضة والإصلاح والتجديد.